الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

فلم « ظهور الإسلام » :

عرض أخيرا في سينما استديو مصر بالقاهرة ، فلم « ظهور الإسلام » الذي أخذ من كتاب « الوعد الحق » لمعالي الدكتور طه حسين باشا ، وقد أخرجه الأستاذ إبراهيم عز الدين ، وشاركه المؤلف في إعداد « السيناريو » ، وانفرد معاليه بكتابة الحوار باللغة الفصيحة ، لغة طه حسين العربية المبينة العذبة الرشيقة

يبدأ الفلم بظهور إخوة ثلاثة يبحثون عن أخ لهم فقدوه ، فلما يئسوا من العثور عليه لم يروا بدا من العودة إلى دارهم بتهامة اليمن ، ومروا بمكة وقد أصنام الجهد ، فنزلوا بها ، فرآهم أبو حذيفة بن المغيرة المخزومي ، فدعاهم إلى داره حيث نزلوا في ضيافته وكانوا موضع إكرامه ؛ وقد وكل بخدمتهم أمة سوداء ناضرة الشباب ، هي سمية بنت خياط ، وقد أقبلت الفتاة على خدمة ياسر بن عامر — وهو أحد الثلاثة — خاصة في خفة ونشاط ، فوقع حبها في نفسه ، وحببت إليه الإقامة بمكة ، فخالف أخويه وتخلف عن الرحيل معهما . وفي مآبه من توديعهما التقى بأبي حذيفة قريبا من المسجد ، فأهدى إليه أنه آثر الإقامة بمكة في أمن الحرم وجوار البيت . وتم الأمر بينهما على الحلف ، إذ يكون ياسر في حماية أبي حذيفة ويكون حربا على من حارب وسلما على من سالم . وعمر خمس وثلاثون سنة ، وإذا نحن نرى مع ياسر وزوجه سمية وولدهما الشاب عمار بن ياسر يحدثهما بحديث وضع الحجر الأسود عندما اختلفت قريش على من يذل شرف وضعه ، فحكموا أول داخل عليهم فكان محمدا الأمين الذي افترش رداءه ووضع الحجر فيه لتأخذ كل قبيلة بطرف منه ... إلى آخر القصة المعروفة . ثم تظهر الدعوة الإسلامية ، فترى

كم تمنيت لو نسيتك . لكن
كيف أنسى ، وأنت في تكويني ؟
صدقيني يامن صنعت عذابي
ونسيت الهوى ، ولم تذكريني
وزرعت السهاد نارا بقلبي
وظلالا تنام حول جفوني
صدقيني لقد يئست من الحب
(م) ومن شجوه الذي يحتويني
صدقيني لقد يئست من الحب
(م) ومن ناره التي تكويني
وتمنيت حين هان على قا
بك قلبي وحبه . . . أن تهوني !
بل تمنيت حين فاضت بي الأشـ
ـجان ، أن لم أكن ، وأن لم تكوني !
لا تلومي على الذي كان مني
واعذري ثورة الهوى ، واعذريني
واذكري حين قلت . . يا أنت ! . . يوما
أنني في هواك غير أمين !

قلت هذا حتى يقوم لك العذ
ر إذا شئت في الهوى أن تخوني
تستطيعين أن تخوني ، ولكن
أنت مهما فعلت لن تخدعيني
واسأليني عن النساء ، فعندي
بقلوب النساء علم اليقين
واسألي عني النساء اللواتي
كن يوما ملكي ، وطوع يميني
اسألهن تعرف من صفاتي
أنني ملهم بكل دفين
واذهبي ! لا أريد منك وداعا
ودعيني فقد يئست . . . دعيني
إن يأسا يريحني . . . هو خير
من خداع الأوهام لي كل حين
ما غناء السراب عندي إن لم
يك يوما بمائه يرويني ؟

ابراهيم محمد نجا

ياسرا يمشي نادى مخزوم ، فيلقاه القوم بفتور ، ثم يتجه إليه عمر بن هشام ويغاظ له في القول ، ويتبين أن سبب ذلك الفتور وهذه الغلظة أن عمار بن ياسر قد أسلم . ثم نرى عمارا وقد أخذ والديه اللذين اعتنق قلباهما الإسلام قاصدين إلى دار الأرقم ابن أبي الأرقم حيث يجتمع رسول الله (ص) بمن هداهم الله إلى الدين القويم . وما يعودون إلى دارهم حتى يفاجئهم أبو جهل عمر بن هشام في فتية من أحرار مخزوم ورقيقها فيقتلوا أيديهم ويجروهم إلى حيث يحبسون ، ويشعلون النار في دار ياسر . ثم نرى جمعا من قريش في المسجد يتحدثون عن هذا الحدث الذي أتاه أبو جهل في البلد الحرام الذي يأوي إليه الناس فيجدون به الأمن والسلام ، وينكر بعضهم على أبي جهل فعلته ، ويؤيده آخرون فيما ذهب إليه من تعذيب الرقيق والأحلاف الذين اعتنقوا الإسلام ، ليكونوا عبرة لغيرهم من ذوي العشائر التي تقوم دونهم إذا أرادهم أحد بمكروه

ويمعن أبو جهل في التنكيل بآل ياسر ويذيقهم ألوان العذاب ، ويلح عليهم أن يذكروا محمدا بسوء وآلهة قريش بخير ، فيأبون كل الإباء ، فيقتل أبو جهل سمية ويلحق بها زوجها ياسرا ، ولكنه يبقي على حياة عمار ليذيقه العذاب

وتتسع حركة التعذيب فتشمل آخرين من المسلمين المستضعفين ، أرقاء وأحلافا ، كبلال وصهيب وخباب بن الأرت ، وكلهم يظهر الجلد ويصبر على العذاب

وتتوالى الحوادث فيبايع النبي صلى الله عليه وسلم أهل يثرب ، ويهاجر المسلمون إلى المدينة ، ثم يهاجر الرسول وصاحبه الصديق ، ويتبعهما المشركون ثم يعودون خائبين ، ويبلغ النبي وصاحبه المدينة فيتلقاه الأنصار والمهاجرون بالغبطة والاستبشار ، ثم تقع غزوة بدر ويقتل فيها أبو جهل ، ويعرض بعقب مناظر بدر ، منظر جيش المسلمين في فتح مكة ودخولهم إليها من شعاب مختلفة وتحطيم الأصنام وصعود بلال إلى ظهر الكعبة يرفع صوته قائلا : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله

والذي ألاحظه — وقد قرأت كتاب الوعد الحق ثم شاهدت فلم ظهور الإسلام — أن الفكرة الأولى في الكتاب أصابها بعض التحوير في الفلم ، فقد تناول الكتاب جماعة من الأرقاء والأحلاف الذين يعيشون في كنف سادة قريش بمكة ، تناولهم تناولا إنسانيا رائعا ، سبق التاريخ إليهم . فإن التاريخ لم يعرفهم إلا عند بدء الدعوة الإسلامية ، أما مؤلف «الوعد الحق» فقد استعمل هذا التاريخ المعروف ربما يرسل خياله إلى الوراء عشرات من السنين ، يتقصى الظروف والأحوال التي طرأ فيها أولئك الأحلاط على مكة ، ويعرض علاقاتهم بالبيئة الجديدة ، ويسوق حديث نفوسهم ومشاعرهم نحو السادة الذين يعايشونهم ، وهم أحيانا يرضون بشيم هؤلاء السادة وما يبسطون لهم من ظل فيحرصون على ولائهم والوفاء لهم ، وأحيانا أخرى — وهي كثيرة — يبدون الضجر والسخط على القيود التي يعانونها من الرق الظالم ومن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية التي يحرمون بمقتضاها ما يستمتع به من لا كفاية لهم غير ما يعتبرونه من شرف المولد والنسب . وهم في خلال ذلك يتوقعون تحول هذه الأوضاع ، وفيهم من أوتي علم ذلك عن طريق الأحبار في خارج الجزيرة فهو يلزم هذا الحرم حتى تبزغ منه الشمس المرتقبة ... ثم تبزغ هذه الشمس فيهرع إلى دفئها أولئك الضعفاء ، وهنا يدخلون في طورهم الثاني الذي عرفهم فيه التاريخ ، وهو طور الإيمان القوي الذي يحتمل عنف الإيذاء ويتقبل الاستشهاد في غبطة وسرور ، ويأتي هنا التصوير الصادق البارع للعراك بين الأرستقراطية الشاحبة الضالة وبين الإنسانية العميقة في أصلها ، القوية بإيمانها المهتدية إلى صراط الحق المستقيم . أما الطور الثالث فهو تحقيق الله وعده للذين استضعفوا أن يمكن لهم في الأرض ويجعلهم أئمة ، فقد انتصر الإسلام ، وساوى بين الناس ، لا فرق بين عربي وحبشي إلا بالتقوى ، وظهر أولئك المستضعفون بالحرية وبالمنزلة الاجتماعية الرفيعة ، فصاروا من أئمة المسلمين وولاة أمورهم وأهل الرأي فيهم ، بل ظفروا بما هو خير من ذلك كله ، وهو خلود الذكر وحسن الجزاء في الآخرة

وقد أخذ الفلم من ذلك صوره على أوضاع مختلفة تهتم بإبراز دعوة الإسلام قبيل ظهورها ، وعند ظهورها وانتصارها ، ولم يهتم بالتتبع الإنساني والاجتماعي لأولئك الأبطال بقدر ما اهتم بالظروف العامة ، فهو مثلا لم يبرز الثورة التي كانت مكبوتة في نفوسهم تجاه الطبقة التي تسودهم ، وتجنبي الإسلام القضاء على أسباب هذه الثورة وتنظيم المجتمع على أساس جديد ، وقد اعتمد

الفلم فى تصوير الجو الذى قصد إليه على إظهار أولئك الأبطال بالقدر الذى احتاج إليه لا بالقدر الذين يحتاجون هم إليه فى التحقيق والتحليل على نحو ما فى الكتاب ، فلم يظهر غيرهم من أعيان المسلمين أمثال حمزة وأبى بكر وعمر ، فهؤلاء - أولا - لم يكونوا من غرض الكتاب ، ولو كان غرضه « ظهور الإسلام » ما أهملهم . أما ثانيا فلا يخفى أنه من غير السهل إظهارهم على الشاشة لاعتبارات يصفونها بأنها دينية ويمنون بذلك اعتراض « رجال الدين » وهنا مهزلة عقلية عجيبة ! كيف يباح تمثيل بلال وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وأمثالهم ، ثم يحظر إظهار حمزة وأبى بكر وعمر وأمثالهم . . ؟ ألم يسو الإسلام بين الجميع . . ؟ أليس لأولئك اعتبار كهؤلاء إن كان الاعتبار يمنع الظهور فى ثوب التمثيل ؟ إن معنى هذا التفريق أننا نستشعر تلك الجاهلية ونصطنع تلك الأرستقراطية ونعد أولئك الأبطال لا يزالون أرقاء ومستضعفين . . ؟

ومهما يكن من شىء فقد حقق الفلم غايته وصور ذلك الجو الذى قصد إليه أبدع تصوير وأروعه ، وكان جهد المخرج والممثلين فى ذلك ظاهرا رائعاً ، فمناظر الفلم وحركات الممثلين فيه وقوة تعبيرهم تنقل المشاهد إلى زمان الأحداث وأماكنها ، وتشعرهم جلالها وروعتها ، وخاصة مناظر التعذيب التى تبدو فيها الأجسام تعذب والوجوه مطمئنة إلى ما وعد الله ، لا يظهر عليها أى أثر للألم ، وقد مثلت غزوة بدر وصورت فى صدق وروعة من حيث تنظيم الصفوف والمبارزة ثم الاشتباك ورمى السهام من الأقواس . . . الخ

ذلك ، ولم يكن من اللائق فى هذا الفلم أن تظهر راقصتان فى بعض أندية قريش ، ترقصان على نحو لا يتفق وجو الفلم والغاية التى يرمى إليها ، وهو فلم نظيف فلا تتفق نظافته مع هذا الرقص . على أن المنظر لم يكن موفقاً أيضا من ناحية الصدق الواقعى التاريخى ، فهو رقص مصرى عصرى ، وزى الراقصتين كذلك مصرى عصرى لا يميزه عن المصرية العصرية إلا السراويل

وثمة ملاحظة أخرى وأخيرة ، وهى ان الممثلين لم تكن تتغير سيماهم فى الأعمار المختلفة ، وخاصة كوكا فى دور سمية ، فقد كانت هى إياها تقريبا فى شبابها وشيخوختها ، وكذلك كانت نضارة الشباب على وجه ياسر وهو فى شيخوخته ، حتى لقد كان أنضر من ابنه عمار . .

وبعد فإن هذا الفلم يكفر عن فن السينما ويضع كثيرا من أوزاره ، ونرجو أن يكون ظهوره فارقا بين عهد جاهلى قديم وبين مستقبل جديد قويم

تأبين عبد العزيز فهمى باشا

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بتأبين المغفور له عبد العزيز فهمى باشا يوم السبت الماضى بدار الجمعية الجغرافية الملكية . وكان خطيبا الحفل معالى الدكتور طه حسين باشا وسعادة الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا

تحدث الدكتور طه حسين باشا عن الفقيد العظيم محللا جوانب شخصيته ونواحى حياته المختلفة ، ومما قاله معاليه : كان تلاميذه وأصدقاؤه يظنون أنه مخلد ، وكانت قوة قلبه وعقله تعينهم على هذا الظن ، فقد شاخ جسمه ولكنه ظل شاب العقل والقلب . كنا نسعى إليه حين عجز هو عن السعى إلينا ، فنسمع منه ما يمنحنا القوة والجلد . كان ذكاؤه لا حد له ، يفطن إلى دقائق الأشياء ، ويفهم فى سرعة ، وقلما يخطئ فيما يفهم بسرعة ، وكان إذا اقتنع بشىء مضى إليه كالسهم ، كان لا يموج فى تفكير أو قول أو عمل . امتاز فى أثناء الطلب وبعد التخرج فى الحقوق وفيما تولى من مناصب ، حتى إذا كانت الحركة الوطنية كان أسرع الناس للاستجابة إلى دعوة الوطن حين دعا أبناءه إلى الجهاد والكفاح ، وكان العقل المدبر فى الحركة الوطنية ، جاهد مع أصحابه ما وسعه أن يجاهد معهم ثم خالف بعض الشىء فلم يداهن ولم يموج ، وإنما مضى فيما يراه حقا . كان فى خصومته عنيفا أشد العنف لأنه كان فى اقتناعه عنيفا أشد العنف . كان يرى رأيه قطعة من نفسه إذا سلم فيه سلم فى قطعة من نفسه ، ولم يسلم فى رأيه حتى أسلم نفسه للموت ، وكان عنيفاً فى حبه عنيفا فى بغضه ، يحب فيرى أن من يحبه كأنه قطعة من نفسه ، وإذا أبغض لحظ من يبغضه كحظ من يحبه فى العنف والتطرف . كان مثقفا كأوسع ما تكون الثقافة وأعمقها ، كان الناس يرونه إماما فى الفقه والقانون ، ولكنه كان كذلك إماما فى اللغة والأدب ، لم يكتف هو وصديقه الطيب السيد بما سمعاه فى المدارس وما سمعاه

من شيوخ الأدب ، بل كانا يقرآن ويدرسان . ولقد كان يدهشنا نحن الممممين — أن نراهما — وهما من المطربشين — يدرسان القرآن والتفسير دراسة تفحص وتعمق . وقد سمعته مرة يفسر سورة الطور لجماعة من أهل بلده ، وينبه إلى أسرار فيها لم يلتفت إليها أحد من المفسرين ، ويقول إن جو السورة يمتاز بالحركة السريعة والصور المتلاحقة ، وكان يمثل فى قراءته آيات السورة هذه الحركة . وأذكر أنى أهديت إليه نسخة من كتابى « جنة الشوك » عند ظهوره ، وفى اليوم التالى اتصل بى وقال إنه فرغ من قراءة الكتاب ويريد أن يلقانى ، فذهبت إليه ، وتحدثنا فعرفت أنه قرأ الكتاب من ألفه إلى يائه ، وأبدى ملاحظاته فيه وهى ملاحظات دقيقة منها ما يختص بأطناب حيث يحسن الإيجاز وإيجاز حيث يستدعى المقام البسط والتطويل ، ومنها ما يختص بوضع كلمة مكان أخرى . . . الخ ، ثم دفع إلى النسخة وقد كتب هذه الملاحظات عليها ؛ كى أنظر فيها عند إعادة الطبع ، ولا زلت أحتفظ بهذه النسخة

ثم قال الدكتور طه باشا : إننا يوم شيعنا عبد العزيز فهمى إنما شيعنا الجانب الخير الممتاز من حياتنا ، فقد كان شطرا خطيرا من حياتنا المصرية التى يجب على الأجيال القادمة أن تدرسها لتنهج على منوالها

ثم ألقى سعادة الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا كلمته فى تأبين الفقيد ، فابتدأ بقوله : إن الرجل الذى نؤبنه اليوم كان يمثل جيلا كاملا ، بما ينطوى عليه هذا الجيل من علم ووطنية وأدب وثقافة وتفكير ، وإن جوانبه المتعددة كانت تصدر جميعها عن وحدة تتمثل فى شخصية قوية عنيفة ، إذا هى أحست قوتها امتلأت إباء وأنفة ، وإذا هى واجهت الأحداث التهبت عنفا وثورة . وكان فى الفقيد كبرياء وتواضع ، كلاهما يصدر عن أصل واحد هو هذه الشخصية القوية العنيفة ، ترفع رأسها تيها على الأقوياء ، وتخفض جناحها رحمة بالضعفاء . وبعد أن تحدث عن قوته وعنفه ومكافحته فى حياته القانونية والسياسية ، قال : وهو قوى عنيف مكافح فى حياته الأدبية والفكرية يوم نادى أن تكون الكتابة بالحروف اللاتينية ، ويوم ثار على مبدإ تعدد الزوجات ، ويوم نفر ممن قال إن القانون الرومانى مأخوذ من الفقه الإسلامى ، فكف فى آخر حياته على الكتابة فى القانون الرومانى وهو أجف مادة فى القانون . وقال : كان الفقيد أديبا من ذلك الطراز الحر القديم ، له أسلوب عربى رصين عريق فى عربيته ، يصعد إلى الأصول الأولى من العربية ، ويحلق فى سماء الأدب كما هو مسطور فى كتبه الأصيلة ، وبقيت ملكة الشعر تختلج فى نفسه فيقرضه حتى فى أواخر أيامه

وأفاض سعادة السنهورى باشا فى الحديث عن حياة الفقيد القانونية وأثره فى المحاماة والقضاء وجهاده فى سبيل إلغاء الامتيازات الأجنبية وما تخلل ذلك من مواقفه المظفرة المشرفة ، ثم اختتم هذه الكلمة الفياضة بقوله : كان الفقيد يؤمن بالله إيمانا عميقا ، ولكنه كان يؤمن بقلبه وبعقله ، وهذا هو إيمان الرجل المفكر القوى ، يتحدى به إيمان الرجل المستسلم العاجز . والآن وقد رحل إلى عالم الخلود ، أتراه كشف عن هذا السر المستور الرهيب ، الذى كان يجيل فيه عقله القوى ، فلا يكاد يهتدى إلى شئ بغير معونة من قلبه ، أم تراه علم أن هذا العقل البشرى لا غناء فيه لدى عالم قيم الأشياء فيه وطبائعها تغاير ما عرفناه بعقولنا من قيم وطبائع . كان الفقيد يمثل جيلا كاملا مباركا على مصر ، باكورته محمد عبده زعيم النهضة الدينية ، وسعد زغلول زعيم النهضة الوطنية ، وقاسم أمين زعيم النهضة الاجتماعية ، وكان هو من خواتيم هذا الجيل ، زعيم النهضة القانونية

منوط به ومناط به :

قرأت ما كتبه فى العدد الماضى من « الرسالة » الأستاذ محمد محمد الأبشيهى ، منكرا على قولى : « وها قد صار الأمل كله مناطا بالحكيم » ذاهبا إلى أن كلمة مناط لم تصح فى اللغة العربية بهذا المعنى وأن الصحيح « منوط به » فقط ، مستندا إلى ما رأى فى المصباح المنير والقاموس المحيط من ورود الفعل « ناط » ومشتقاته دون « أناط »

وإنى أشكر له تحيته وأدبه فى المناقشة ، وأقول : ليس من السهل أن يحكم المرء بأن كلمة ما لم تصح فى العربية ، وليست اللغة كلها فى المصباح المنير والقاموس المحيط . جاء فى أقرب الموارد : « أناط به إناطة : علقه » وجاء فى المنجد : « أناطه إناطة بكذا : علقه » فناط من الفعل « أناط » الوارد فى هذين النصين ، ولا حرج

عباس حضر